هوامش

في قلب القسم القديم من غزة، يقع «سوق الزاوية» بطابعه الفريد وممراته الضيقة وجدرانه العتيقة. ويختلف إلى حد كبير معماريًا وجماليًا عن باقي أسواق القطاع

تتميز الأجواء داخل سوق الزاوية الشعبي، بملامح مختلفة، ومُحببة لأهالي قطاع غزة (عبد الحكيم ابو ريّاش)

سوق الزاوية

كأنه حارة من القدس العتيقة

غزة ـ **علاء الحلو**

يتربع «سوق الزاوية» الشعبي، ذو الملامح التراثية، في قلب مدينة «غزة القديمة»، ويتميز بطابع فريد، يختلف عن باقي أسواق القطاع إذ يكسو جدرانه العتيقة عبق الماضي والقِدم، فيما تروي ممراته الضيقة قصص أجيال تعاقبت وتجار كانوا صغاراً وأصبحوا على مدار عقود مضت أصحاب أكبر الشركات. ويعكس السوق الواقع بين شارعي عمر المختار والوحدة الرئيسيين وسط مدينة غزة، نمطاً هندسياً ومعماريًا، يُظهر تفاصيل وعراقة التاريخ، الذي يعود إلى الحقبة العثمانية وما قبلها، إذ تتميز ممراته الجانبية بالأسقف المقببة، والمعقودة بعقود متقاطعة، فيما يعكس ممره الرئيسي مدى دقة العمران القديم.

ويعتبر سوق «الزاوية» مقصدًا لكل الفئات والشرائح المجتمعية في قطاع غزة من شماله حتى جنوبه، طيلة أيام العام، فيما تتضاعف أعداد زواره في المُناسبات السنوية، كرمضان والأعياد والمواسم، إذ يضم في ثناياه سوقا للذهب والفضة والزينة النسائية، كذلك مختلف أصناف المنتجات الغذائية، الحلويات، الخضار والفواكه، الدواجن البلدية، الأسماك، اللحوم الطازجة والمجمدة، الملابس، المُسليات، مستلزمات البيوت، أصناف العِطارة والأعشاب والبهارات وغيرها، مُجسدًا المقولة الشهيرة «فيه من الحامض للحلو» وتعني أنه يضم كل شيء.

ويبدأ سوق الزاوية من ميدان فلسطين غربًا، حتى المسجد العمري الكبير شرقًا، وهو من أكبر المساجد الأثرية في قطاع غزة، ويفتح بابه الغربي على وسط سوق «الزاوية»، فيما تفتح أبوابه الجنوبية والشرقية على سوق الذهب المعروف تاريخيًا باسم «سوق القيسارية»، والذي يمتد من الناحية الجنوبية للمسجد، حتى الناحية الشرقية، ويضم العديد من حوانيت الذهب الصغيرة، والتي تتميز بأسقف مقببة وعواميد سميكة، ويعتبر من أهم المناطق الأثرية في السوق القديم، فيما يجسد ملمحًا معماريًا متكاملًا.

وتؤدي العديد من الممرات الجانبية من الناحية الجنوبية إلى شارع عمر المختار الرئيسي، والذي يشتهر ببيع الملابس، فيما تؤدي ممراته الجانبية من الناحية الشمالية إلى شارع الوحدة الرئيسي، وتضم تلك الممرات محال تجارية متعددة الأنشطة، إلا أن عددًا كبيرًا منها يختص ببيع العِطارة، فيما يتجمع في مدخل السوق عدد من الصرافين «مُحولي العملات الجوالين». وينفرد سوق الزاوية بطابع دافئ، يشتم فيه زواره رائحة الزعتر ومختلف أصناف العِطارة منذ اللحظة الأولى لدخوله، إلى جانب محافظته على الملامح القديمة للمحلات الصغيرة، ذات الأبواب الضيقة، وكِبار السن الذين ما زالوا يجلسون أمام حوانيتهم، يصففون بضائعهم، فيما لا تزال بعض النسوة يبعن الجرجير والجبن والأوراق الخضراء على نواصي ممرات السوق.

ويقول السبعيني الفلسطيني إبراهيم مسعود، وهو من سكان منطقة سوق الزاوية، لـ «العربي الجديد» إن والده هاجر من يافا عام 1948، وهو ذات العام الذي وُلد فيه بمدينة غزة، ونشأ في منطقة سوق الزاوية، التي لا زال يذكر تفاصيلها منذ الصِغر، مُضيفًا أن «سوق الزاوية كان سوقاً تجارياً خاصاً ومركزياً لمدينة غزة وباقي مُحافظات القطاع، إذ كان يضم خان أبو شعبان، ويقصده التجار الهنود، الذين قاموا بشراء أرض لإقامة زاوية خاصة بهم، تُسمى في الوقت الحالي زاوية الهنود، والتي سُمي السوق فيما بعد على اسمها». ويتابع: «كان لأجدادي مَصبنة لصناعة الصابون، فيما كان يجاورها معصرة للطحينية والزيت البلدي»، وقد تم اعتماد سوق الزاوية، سوقًا لمختلف محافظات قطاع غزة منذ عام 1967، إلى أن اختلفت الأوضاع بعد ذلك وفقًا للفلسطيني مسعود، بسبب انتشار الأسواق في كل المحافظات.

ويقتسم الفلسطيني محمد الكحلوت، الحنين إلى المكان مع باقي مُرتاديه، حيث يسكن ضمن إطار منطقة سوق الزاوية، ويقول إنه يُعتبر من الأسواق الأثرية، إلى جانب أنه سوق مركزي، كان يضم عدة أسواق، منها «سوق الغَلّة، سوق المواشي، سوق الحُبوب». ويوضح الكحلوت في حديث مع «العربي الجديد» أن ما يميز سوق الزاوية قديمًا، هو اتجاه عدد من التُجار من خارج فلسطين إلى قصده للتجارة، ومن أبرزهم التُجار الهنود المسلمون، الذين قاموا بشراء منطقة داخل السوق للتجمع والالتقاء وأداء الصلاة والاستراحة.

ويلفت إلى أن «زاوية الهنود» باتت من أهم ملامح سوق الزاوية، إلى جانب «سباط الغَلّة» الذي يقع وسط السوق، وكان يؤدي إلى سوق الغَلّة الخاص ببيع البهارات والتوابل التي يجلبها التُجار في قوافل تصل عبر الميناء، فيما تحولت ملامح السباط الخارجية (وهو سباط أثري قائم حتى الآن) بفعل الإهمال وغياب الاهتمام.

وتتميز الأجواء داخل سوق الزاوية الشعبي، بملامح مختلفة، ومُحببة لأهالي قطاع غزة، تُشعرهم بأنه يشبه إلى حد كبير أسواق مدينة القدس العتيقة، التي حُرموا من زيارتها بفعل الاحتلال الإسرائيلي، الذي يمنع أهالي البلدات الفلسطينية من التنقل بحُرية بين بلداتهم المُحتلة، التي طُردوا منها عنوة على أيدي العصابات الصهيونية عام 1948م.

باختصار

يعتبر سوق «الزاوية» مقصدًا لكل الفئات والشرائح المجتمعية في قطاع غزة من شماله حتى جنوبه، طيلة أيام العام، فيما تتضاعف أعداد زواره في المُناسبات السنوية

■■■

يبدأ سوق الزاوية من ميدان فلسطين غربًا، حتى المسجد العمري الكبير شرقًا، وهو من أكبر المساجد الأثرية في قطاع غزة

■■■

ما يميز سوق الزاوية قديمًا، هو اتجاه عدد من التُجار من خارج فلسطين إلى قصده للتجارة

وأخيراً

حكايات من عالم الفن والطرب

خطيب بدلة

ثمّة قناعة يصل إليها المرء مع مرور الزمن وتقادم العمر، أن الأغاني الوطنية والقومية والنضالية أقلّ شأناً من الأغاني العاطفية والوجدانية والإنسانية، فكأن بين الفن وهاتيك الأغاني علاقة تناسُب عكسي. لهذا، على ما أعتقد، سببان رئيسيان: أنها ترتبط بفترة زمنية معينة، وحادثة تاريخية، فيخبو بريقُها مع انتهاء تلك الفترة. وأن لحنها يغلب عليه الانفعال الآني، ويقلّ فيه التطريب.

يحكي كمال الطويل (1922 - 2003)، الرجل الذي يحمل لقب «الموسيقار الزاهد»، في مقابلة تلفزيونية، حكاية أغنية «والله زمان يا سلاحي»، أن لحنها تدفقَ على وجدانه في أثناء العدوان الثلاثي على مصر 1956، وشعر بأنه يجب أن يقدّم شيئاً لبلاده في هذه المحنة، فاتصل هاتفياً بصلاح جاهين، الشاعر الذي يحمل لقب «جبرتي الثورة»، وأسمعه مقدّمة اللحن على البيانو، فطلب صلاح عشر دقائق، أنجز خلالها تأليف كلمات المقدّمة «والله زمان يا سلاحي، اشتقت لك في كفاحي، انهض وقول أنا صاحي، يا حرب والله زمان».. وعلى فترات متقطعة، خلال الجلسة نفسها، أنجز ذانك المبدعان تلك الأغنية الحماسية التي تحضّ الناس على حمل السلاح لمقاومة العدوان. والتقى كمال الطويل، بعد ذلك، أم كلثوم التي كانت معروفة باندفاعها الوطني والقومي، وأسمعها الأغنية، فأعجبت بها، ووافقت على أدائها.

الأغنية، وسط الجو الحماسي الانفعالي الذي تلا العدوان الثلاثي، نجحت نجاحاً باهراً، وكانت الحكومة قد أعلنت يومذاك عن مسابقةٍ لتأليف نشيد وطني، فاتصل محمد حسنين هيكل به، وأعلمه أن لحن «والله زمان» فاز بالمسابقة، واعتُمد نشيداً وطنياً لمصر.. ولكن، في سنة 1977، فاجأ الرئيس أنور السادات العالم بزيارة القدس المحتلة، تلتها محادثات كامب ديفيد، ثم وقعت مصر وإسرائيل معاهدة سلام .. إلخ، ووقتها، وبحسب رواية كمال الطويل، قرّر السادات تغيير النشيد الوطني، لأن الإسرائيليين قالوا له: كيف أنت جاي تعمل معانا سلام، ونشيدكم الوطني يدعو لحمل السلاح؟ وهنا تبدأ حكاية أخرى، أن موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب كان يرغب بوضع نشيد وطني، إلا أن السادات كان يفضل العودة إلى نشيد «بلادي بلادي» الذي وضعه سيد درويش، فكان ذلك. ومع أن محمد عبد الوهاب لم يقم بتوزيع لحن أية أغنية في حياته، قال إن النشيد من توزيعه، بينما هو من توزيع الموسيقي المصري مختار السيد. وبحسب الكاتبة ياسمين فراج، أنجز الموسيقار العبقري الشيخ سيد درويش نشيد «بلادي بلادي» في مطلع شهر سبتمبر/ أيلول من سنة 1923، وقام بتحفيظه لطلبة المعهد العباسي لاستقبال الزعيم سعد زغلول لدى عودته من المنفى، ولكنه توفي قبل ذلك بيومين، وقُدّم النشيد لأول مرة في 17 سبتمبر، أمام سعد زغلول، من دون وجود ملحّنه. ومن الأغاني الوطنية المهمة في حينها، المندثرة الآن، أغنية «حَ نحارب، كل الناس ح تحارب، مش خايفين، من الجايين» التي كتبها صلاح جاهين نفسه في أثناء العدوان الثلاثي 1956، ولحنها شيخ الملحنين، بيتهوفن العرب، سيد مكاوي. وما حصل يومها أن مكاوي، ولكي يعطي للأغنية زخماً شعبياً، قرّر الاستعانة بكورس كبير. وفي الموعد المحدد لتسجيلها في الإذاعة، اشتدّت الغارات، فلم يأت الرجال والنساء الذين سيقومون بدور الكورس، فطلب سيد من كل موظفي الإذاعة المناوبين أن يأتوا إلى الاستديو، فحضروا، ودرّبهم بسرعة على أداء اللحن، وكانت تلك التجربة الفريدة من نوعها.

> هل يترنم الناس اليوم بأغنية «ح نحارب» لسيد مكاوي، أو «يا مسهرني» لأم كلثوم، و«حكايتنا نحنا التنين» لليلى مراد ؟

بالعودة إلى الفكرة التي انطلقت المقالة منها، يمكن أن نطرح الآن سؤالاً: أي الأغاني التي لحنها كمال الطويل صمدت في وجه الزمن؛ «والله زمان يا سلاحي»، أم أغنية «الناس المغرمين» التي لحنها لمحمد عبد المطلب، و«بتلوموني ليه» لعبد الحليم؟ هل يترنم الناس اليوم بأغنية «ح نحارب» لسيد مكاوي، أو «يا مسهرني» لأم كلثوم و«حكايتنا نحنا التنين» لليلى مراد؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**